الأساس فى علم التوحيد

بقلم

أبي مصطفى البغدادي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا.

أما بعد: فهذه رسالة موجزة في علم التوحيد اقتصرت فيها على ما لا بد للمسلم من معرفته. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

والله أسأل أن ينفع بها وأن يجعل أعمالنا صالحة ولوجهه الكريم خالصة، إنه سميع مجيب.

أبو مصطفى البغدادي

للتواصل: abualmostafa77@gmail.com

2019-2-3

(مقدمة في معنى التوحيد)

التوحيد لغة: الإفراد.

وشرعًا: إفراد الله بما يختصّ به.

واصطلاحًا: مسائل يبحث فيها عن الله والأنبياء والمعاد وما يتصل بذلك من حيث وجوب اعتقاده في الإسلام.

وفائدته: معرفة العقائد الحقة للفوز بسعادة الدارين.

فالتوحيد له معنى في لغة العرب التي نزل بها القرآن وهو الإفراد؛ يقال: «هو واحد قبيلته» إذا لم يكن فيهم مثله. قال الشاعر: «يا واحدَ العُربِ الذي ... ما في الأنامِ لهُ نظيرُ».

وله معنى في الشرع أي: في النصوص الشرعية[1] وهو متعلق بالله سبحانه وتعالى وحده دون غيره، وهو: إفراد الله بما يختص به.

وهذه الخصائص الإلهية أهمّ ما ينبغي الاعتناء به وإبرازه لأنها حقوق الله التي لا يشركه فيها أحد لا مَلَك مقرَّب ولا نبيّ مرسَل.

فمن تلك المختصات: استحقاقه تعالى العبادة أي: أن لا يُعبَد أحد سواه، فحينئذ يكون صرفها لله وحده توحيدًا، وصرفها لغيره شركًا.

وأما التوحيد في اصطلاح العلماء فهو اسم لعلم مخصوص[2] له مسائله الخاصة وهو: مسائل يبحث فيها عن الله والأنبياء والمعاد وما يتصل بذلك من حيث وجوب اعتقاده في الإسلام.

توضيحه: إن علم «التوحيد» هو اسم للعلم الذي يُبحَث في العقائد الإسلامية، ولهذا كان من أسمائه «العقيدة» و«أصول الدين»، وهو يضم مواضيع متعددة فيبحث في الله سبحانه وتعالى وصفاته وتوحيده، ويبحث في أنبياء الله ورسله ودليل نبوتهم وما يجب في حقهم وما يستحيل

---

[1] كقوله ﷺ لمعاذ: «إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أوّل ما تدعوهم إلى أن يوحّدوا الله تعالى». رواه البخاري.

[2] من باب تسمية الشيء بأشرف أجزائه؛ لأن توحيد الله –عز وجل– هو أشرف مباحث علم العقيدة.

عليهم، ويبحث في اليوم الآخر وما يتعلق به من الغيبيات، وكذا يبحث في الملائكة والكتب السماوية وقضاء الله وقدره، ويضم مباحث أخرى كالإيمان والإسلام وكرامات الأولياء.

فيمكن القول بأن موضوع علم العقيدة يدور على ثلاثة محاور:

1- ذات الله سبحانه: ويسمى بمبحث «الإلهيات».

2- ذوات الأنبياء عليهم السلام: ويسمى بمبحث «النبوات».

3- اليوم الآخر وما يتعلق به من الغيبيات: ويسمى بمبحث «الغيبيات» و«السمعيات» لأنها أمور متوقفة على السمع من الكتاب والسنة ولا يمكن للعقل أن يدرك تفاصيلها كالجنة والنار والصراط والميزان.

وهذه الثلاثة هي أصول الدين والإيمان[1].

وقد صح في حديث جبريل عليه السلام أن النبي ﷺ قال عن الإيمان: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[2].

فالإيمان بالكتب يدخل في ضمن مبحث النبوات.

ومبحث القَدَر يدخل في مبحث الإلهيات؛ لأن القدر إنما هو قدرة الله سبحانه وهي صفة من صفاته جلّ وعلا، وكذا مبحث الملائكة عليهم السلام بحثناه ضمن مبحث الإلهيات[3].

قولنا: «وما يتصل بذلك»: أردنا به إدخال بقية المباحث العقائدية في هذا التعريف.

وقولنا: «من حيث وجوب اعتقاده في الإسلام»: احترزنا به عن البحث غير الإسلامي كبحث الفلاسفة عن الله والأنبياء والمعاد وحشر الأجساد، فإن ذلك البحث لا يتقيّدون فيه بقانون الإسلام وإنما ينطلقون من بحث عقليّ مجرّد.

---

[1] هذه الثلاثة هي أصل دعوة النبي ﷺ للناس: أن يؤمنوا بالله إلهًا واحدًا، وأنه رسول الله إليهم جميعًا، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه.

[2] رواه مسلم.

[3] باعتبار أن البحث في الله يتبعه البحث في العالم العلوي، ويمكن أن يبحثوا في السمعيات باعتبار أنهم عالم غيبيّ غير محسوس لا يُعلَم إلا بالخبر الصادق.

وفائدة دراسة هذا العلم هي معرفة العقائد الحقة للفوز بسعادة الدارين.

وتعلُّم هذا العلم واجب على كل مسلم ومسلمة. قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ﴾.

(أسئلة)

1- ما الفرق بين التوحيد شرعًا واصطلاحًا؟

2- ما هو موضوع علم التوحيد؟

3- ما هي فائدة علم التوحيد؟

الباب الأول في الإلهيات

(الدرس الأول)

ما يختصّ به الله عز وجل

تقدم أن التوحيد هو إفراد الله بما يختص به.

وأهم تلك المختصات هي:

1- وجوب الوجود لذاته.

توضيحه: إن الموجود إما أن يكون واجب الوجود، وإما أن يكون ممكن الوجود.

فواجب الوجود هو الذي يستحيل عدمه، فهو موجود منذ الأزل.

ويكون وجوده لذاته أي: لم يكتسبه من موجود آخر فلا خالق له.

وهذا الواجب الوجود لذاته ينحصر في موجود واحد لا ثاني له البتة وهو الله سبحانه وتعالى.

وأما ممكن الوجود لذاته: فهو الذي لا يستحيل عليه العدم لذاته وإنما جاءه الوجود من الخارج أي: أن له خالقًا خلقه وأبرزه للوجود ولولاه لبقي عدمًا.

وكل ما عداه سبحانه ممكن، وهذا الممكن دال على الواجب.

بيانه: أنه لما كان الممكن معدومًا ثم وُجِدَ فإن العقل يسأل: من الذي أخرجه من العدم إلى الوجود؟ فلا بد أن يكون هنالك موجود آخر أوجده، ثم هذا الموجود لا يجوز أن يكون ممكنًا أيضًا؛ لأنه يرجع نفس السؤال فيقال: فهذا الموجود الآخر من الذي أوجده؟ فحينئذ لا بد أن ينتهي إلى موجود واجب الوجود لذاته يستحيل عليه العدم فهو خالق كل شيء وما عداه مخلوق، وهو الحقّ سبحانه. قال تعالى: ﴿قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1].

---

[1] لمزيد من التفصيل راجع مذكرة التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمه الله في «المسألة الأولى: إثبات أن العالم ممكن»، و«المسألة الثانية: الممكن محتاج إلى موجد ومؤثر»، و«المسألة الثالثة: في إثبات وجوب الوجود لله سبحانه وتعالى».

2- الوحدانيّة.

أي: لا ثاني له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.

توضيحه: للحق سبحانه ذات وصفات كالحياة والعلم والقدرة، وأفعال كالخلق والرزق والإحياء.

فذاته سبحانه لا ثاني لها ولا نظير بمعنى أنه لا توجد ذات مثل ذاته، فإن ذاته العلية واجبة الوجود مستجمعة للكمال المطلَق، وكل ما عداه ممكن ناقص.

وصفاته سبحانه لا يوجد من يتصف بمثلها؛ فمثلاً علمه سبحانه ذاتيٌّ وعلم غيره حادث مكتسَب بتعليم الله له، وعلمه سبحانه تام كامل لا يخفى عليه شيء وعلم غيره ناقص محدود، وكذا القول في قدرته سبحانه وسمعه وبصره ونحوها من صفاته العليا، وكذا القول أيضًا في أفعاله سبحانه كالخلق والرزق والإحياء والإماتة.

فالوحدانية تعني عدم النظير له في الذات والصفات والأفعال، وهو المراد بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1].

3- القِدَم.

أي: عدم الأولية للوجود، فهو موجود منذ الأزل. أما ما عداه سبحانه فهو حادث كائن بعد أن لم يكن، ظهر للوجود بعد أن شاء الله وجوده. قال تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾.

4- البقاء.

أي: لا نهاية لوجوده سبحانه. أما ما عداه سبحانه فهو فان. قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾. وما يبقى ويدوم كالجنة ونعيمها فيدوم بإدامة الله له لا بذاته.

[1] قال الشيخ السعدي في تفسيره: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ. أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأن أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحده بالكمال من كل وجه».

5- الاستغناء عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه إليه.

أي: هو سبحانه مستغن في وجوده وبقائه عن غيره، وكل ما عداه مفتقر إليه في وجوده ومفتقر إليه في بقائه وفي كل شؤونه، ولو قدّر أن الباري انقطع مدده عن العالم للحظة لاستحال الكون كله عدمًا وصفرًا. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولاَ﴾[1].

6- الخلق.

أي: الإيجاد بعد العدم، فكل شيء مخلوق له سبحانه قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾. أما المخلوقات فهي تصنع الشيء وتحوله من حالة إلى أخرى ولا تخلق شيئًا.

7- المُلْك.

أي: هو سبحانه المالك لكل شيء في السموات والأرض من العرش إلى الفرش لا يخرج شيء عن ملكه سبحانه، والإنسان وما ملك ظاهرًا مملوك لله إذ لا يتصرف العبد بنفسه وماله إلا بإذن سيده. قال تعالى: ﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. فالملك التام لكل شيء الحقيقي الذي يتصرف فيه بلا إذن ليس إلا لله سبحانه.

8- التدبير.

أي: هو سبحانه المدبّر للكون كله كيف يشاء بحكمته، فهو الذي يأتي بالشمس من المشرق وهو الذي بأمره تنزل الأمطار وتسير النجوم وتهب الرياح، وهو الذي يدبر الأرزاق وبأمره تقبض الأرواح، لا يخرج شيء عن تدبيره سبحانه في السموات والأرض؛ فهو لم يخلق العالم ثم فوّض أمر إدارته لأحد كالملائكة بل هو المدبر وحده وهم جنوده، وما يعلم جنود ربك إلا هو. قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾.

---

[1] «أي: أن الله تعالى يحفظ السماوات والأرض كراهة زوالها أو لئلا تزولا وتضمحلا؛ فإن الممكن كما يحتاج إلى الواجب سبحانه حال إيجاده يحتاج إليه حال بقائه». تفسير الآلوسي.

وأما تدبير المخلوق فهو قاصر على ما تحته، وتدبيره وسعيه غير نافذ إلا بتدبير الله.

9- الإلهية.

أي: كونه مستحقًّا للعبادة، فهو سبحانه المعبود الذي لا يستحق العبادة سواه، وهذا معنى كلمة التوحيد «لا إله إلا الله». قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

10- الحاكمية.

أي: كونه منفردًا بحق التشريع. قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ﴾. فهو سبحانه الحاكم الذي لا يُحكم عليه، وكل تشريع يناقض شرعه وكل قانون يخالف دينه فهو باطل.

وأما ما لا يدخل تحت التشريع والدين وإنما يتعلق بتنظيم أمور الناس مما أذن الله فيه للخلق يراعون فيها مصالحهم كقوانين المرور والعمل فهو ليس من التشريع المختص بالله سبحانه، بل هو تابع لمصالح الناس يغير ويبدل ويزاد وينقص بحسب الأزمان.

وبالجملة: يتصف مولانا بجميع صفات الكمال التي يقتضيها العقل والنقل لا يشذ منها شيء، ويتنزه عن كل صفات النقص لا يثبت له منها شيء، وليس ذلك إلا لله وحده إذ ما من أحد إلا ويدخله النقص في وجوده أو علمه أو قدرته ونحوها، وذلك الأمر يوجب أن تكون العبادة له وحده.

(أسئلة)

1- ما هي مختصات الباري؟

2- كيف تستدل على وجوده سبحانه؟

3- ما الفرق بين ملك الله وتدبيره وملك وتدبير غيره؟

(الدرس الثاني)

الصفات والأفعال

قد علمتَ أن الحق سبحانه له صفات وأفعال، فصفاته كلها كمالات وأفعاله كلها خير.

والقاعدة في الصفات هي أنّ الله سبحانه يتصف بصفات الكمال ويتنزه عن صفات النقص.

فمما ثبت لله من صفات الكمال:

1- الحياة: أي: الكاملة المنافية للموت. قال تعالى: ﴿اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾.

2- السمع: أي: التام المنافي للصمم.

3- البصر: أي: التام المنافي للعمى. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

4- العلم: أي: التام المنافي للجهل. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

5- الإرادة: أي: التامة المنافية للإكراه. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾.

6- القدرة: أي: التامة المنافية للعجز. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

7- الكلام: أي: المنافي للبكم. قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

8- الرحمة[1]: قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

9- الوجه: قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[2].

---

[1] بمعنى العطف لا رقة القلب وانفعال النفس كما هو الحال في رحمة المخلوقين، حاشا ربنا الكريم.

[2] قال يونس بن عبد الأعلى المصري: «سمعت أبا عبدالله محمد بن إدريس الشافعي يقول وقد سئل عن صفات الله وما ينبغي أن يؤمن به فقال: لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه صلى الله عليه وسلم أمته، لا يسع أحدًا من خلق الله قامت عليه الحجة أن القرآن نزل به وصح عنه بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه العدل (ردّها)، فإن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فهو بالله كافر، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرَّوِيَّة والفكرِ. ونحو ذلك إخبار الله سبحانه وتعالى إيّانا أنه سميع وأن له يدين بقوله: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ وأن له يمينًا بقوله ﴿والسماوات مطويات بيمينه﴾ وأن له وجهًا بقوله ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ وقوله

10- اليدان: قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾.

11- الاستواء على العرش: بمعنى العلو والفوقية التي يلزمها المباينة عن خلقه. قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1].

ونحوها من الصفات التي ثبتت بالخبر إذ ليس قصدنا هنا الحصر، ونعتقد أنها صفات لله سبحانه تليق بجلاله.

ثم كل نقص تتوهّمه بعض العقول من إثبات هذه الصفات ننفيه عنه سبحانه جملةً وتفصيلاً.

وبالجملة: نثبت لربنا كل ما أثبته لنفسه في كتابه وسنة نبيه من غير تأويل ولا تمثيل ولا تكييف.

ونقول قولا عامًّا: كل ما ثبت في الكتاب وفي السنة من أوصاف للباري نثبته له سبحانه، ولا نتحذلق على الله بأن نقول: لم يُرِد الله بكذا ظاهرَ كلامه، فلا نؤوّل الصفات كأن نقول إن معنى يده نعمته أو قدرته، ولا نشبّهها ونمثّلها بصفات المحدثات كأن نقول: يد الله كيد المخلوقين، ولا نثبت كيفية لتلك الصفات كأن نقول: استواء الله على عرشه كيفيته كذا وكذا.

ونقول كما قال الإمام الخطيب البغدادي الشافعي رحمه الله:

«أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن الصحاح، مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه. والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا: لله يد وسمع وبصر، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه،

﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾». اهـ من طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، وقد ساقه بسند صحيح. وما بين القوسين مني يقتضيه السياق وهو ثابت في بعض الروايات.

[1] قال الإمام أبو الحسن: «..ورأينا المسلمين جميعًا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش». الإبانة ص 107، تحقيق الدكتورة فوقية حسين.

ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح. ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تبارك وتعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ وقوله عز وجل: ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾»[1].

والخلاصة: أننا مع قولنا بإثبات الصفات على ظاهرها ننفي ما قد يتوهم أنه من لوازمها، فننفي عنه سبحانه كل ما تتوهمه المؤوِّلة من التجسيم والطول والعرض والأجزاء والأبعاض وتركيب الباري وافتقاره.. حاشا وكلا، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير:

وَكُلُّ نَصٍّ خِلْتَهُ التَّشْبِيها... فَوَصْفَهُ أَثْبِتْ وَرُمْ تَنْزِيها[2]

وأما أسماء الله: فكلها توقيفية.

أي: أننا لا نسمي الله سبحانه إلا بما سمّى به نفسه لأن أسماءه تعالى يُتوقَّف فيها على ما ورد.

وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، فمن أسمائه سبحانه الحي والسميع والبصير والعليم والقدير، لا المريد والمتكلم، فالإرادة صفة والمريد ليس باسم.

ومما تنزه عنه مولانا: الشريك، والزوجة، والولد، والنوم، والموت، والأكل والشرب.

---

[1] جواب الخطيب على أسئلة بعض أهل دمشق، ص 73-74-75.

[2] قال شيخ الإسلام: «وهذان الاسمان (الأحد والصمد) لم يذكرهما الله إلا في هذه السورة، وهما ينفيان عن الله ما هو متنزه عنه من: التشبيه، والتمثيل، ومن التركيب، والانقسام، والتجسيم؛ فإن اسمه الأحد ينفي المثل والنظير كما تقدم الكلام على ذلك في أدلته السمعية، وبينا أنّ الأحد في أسماء الله ينفي عنه أن يكون له مثل في شيء من الأشياء، فهو أحد في كل ما هو له، واسمه الصمد ينفي عنه: التفرق، والانقسام، والتمزق، وما يتبع ذلك من تركيب، ونحوه؛ فإن اسم الصمد يدل على الاجتماع». اهـ من بيان تلبيس الجهمية، ج2 ص58.

فكما نثبت لله الكمال ننزهه سبحانه أيضًا عن النقص كالشريك المنافي لوحدانيته، والزوجة والولد المنافيين لغناه[1]، والنوم المنافي لقيوميته سبحانه، والموت المنافي لكمال حياته، والأكل والشرب المنافيين لصمديته.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ. لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

وأما أفعاله سبحانه: فدائرة بين الفضل والرحمة، والعدل والحكمة.

أي: أن أفعاله سبحانه في ملكه كلها خير وهي دائرة بين رحمة وفضل وإحسان على العباد. قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾. وبين عدل وحكمة لا يخرج فعل عن ذلك أبدا. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾. وقال رسول الله ﷺ للذي قال: «والله إِنَّ هَذِهْ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا»: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِل اللهُ وَرَسُولُهُ؟»[2].

وما كان من شر فهو نسبيٌّ كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، فما نزل بهم هو شر بالنسبة إليهم ولكنه عدل وخير في نفسه، فالأمر كما قال رسول الله ﷺ: «وَالخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»[3].

(أسئلة)

1- اذكر ما تعرفه من صفات الله تعالى.

2- ما معنى كون الأسماء الحسنى توقيفية؟

3- ما المقصود بنفي التأويل والتمثيل والتكييف؟

---

[1] قال الشيخ السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلاَ وَلَدًا﴾: «وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا: أي: تعالت عظمته وتقدست أسماؤه. «مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا»: فعلموا من جدِّ الله وعظمته ما دلهم على بطلان من يزعم أن له صاحبة، أو ولدًا؛ لأن له العظمة والكمال في كل صفة كمال، واتخاذ الصاحبة والولد ينافي ذلك؛ لأنه يضاد كمال الغنى».

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] رواه مسلم.

(الدرس الثالث)

توحيد العبادة

تقدّم أن المولى الكريم يختص بالإلهية التي هي كونه إلهًا مستحقًّا أن يُعبَد ويُخضَع له.

ومن معاني كونه إلهًا وخصائصه ما يلي:

1- لا يُحَبُّ أحدٌ لذاته إلا هو سبحانه.

بيانه: إنّ الذي يستحق أن يُحَبَّ لذاته هو الكامل في ذاته وصفاته المنعم وحده بعظائم النعم ودقيقها، ولا منعم على الحقيقة إلا هو، وليس في الوجود ما ينطبق عليه هذا الوصف إلا الله تعالى.

وكل ما يُحَبُّ سواه فمحبّته تَبَعٌ لمحبّته؛ فإنّ المحبة الشرعية كمحبة الرسول ﷺ إنما تكون لأجل كونه رسول الله وأن الله أمر بمحبّته، وكذا يحب الصالحون بسبب طاعتهم لله تعالى. قال تعالى على لسان نبيه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾.

وأما المحبة الطبيعية[1] للوالد والولد والنساء والطعام والمال فهي محبة للغير، فإن المحبة للذات تستلزم أن يكون مقصودًا لذاته مطاعًا لذاته متبوعًا لذاته بحيث يكون كل ما سواه تبعًا له وليس ذلك إلا لله؛ فلا جرم أن تكون محبة شيء من دون الله لذاته شركًا. قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾.

قال شيخ الإسلام: «لا يجوز أن يُحَبَّ شيء من الموجودات لذاته إلا هو سبحانه وبحمده، فكل محبوب في العالَم إنما يجوز أن يُحَبَّ لغيره لا لذاته، والرب تعالى هو الذي يجب أن يحب لنفسه، وهذا من معاني إلهيته»[2].

---

[1] «وهي ميل الإنسان إلى ما يلائم طبعه، كمحبة العطشان للماء، والجائع للطعام، ومحبة النوم والزوجة والولد، فتلك لا تذم إلا إذا أَلْهَتْ عن ذكر الله، وشغلت عن محبته، كما قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾». الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص 215.

[2] مجموع الفتاوى المجلد العاشر ص 607.

2- لا يُتحاكم إلا إلى شرعه.

لأنّ الحكم له وحده سبحانه كما تقدم، فلا يتخذ دينًا وقانونًا إلا ما سنَّه، ومن تحاكم إلى غير الله ورضي بحكم غير حكم الله فقد أشرك بالله. قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ﴾.

3- لا يُتاب إلا إليه وحده إذ لا يغفر الذنوب أحد سواه.

فلا يتاب إلى رسول ولا إلى إمام ولا إلى أحد غير الله فإنه لا يغفر الذنوب ويمحو السيئات سوى الحق سبحانه. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

4- لا يُتوكّل على أحد سواه.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. والتوكل هو اعتماد القلب على الله وحده في الأمور، فإنّ الله هو الذي بيده تدبير الأمر ولا أحد يملك الضر والنفع إلا هو سبحانه، وهو جلّ وعلا خالق الأسباب ولا تقع المسبَّبات إلا بتقديره وإذنه وخلقه.

فلذا وجب التوكل عليه وحده وإن تعاطينا الأسباب، فإن المؤمن إذا أصابه المرض مثلاً فإنما يتوكل على الله في دفع المرض عنه مع أخذه العلاج ومباشرته الأسباب. قال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»[1].

وبالجملة: لا يُعبَد غيره.

والعبادة هي: فعل ما يشتمل على غاية الحب والذل والتعظيم له.

كالصلاة والصوم والحج والتوبة والتوكل، وقريب من هذا التعريف ما ذكره الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره العبادة: «الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة»[2]، والأستاذ ابن فُورَك

---

[1] رواه البخاري.

[2] تفسير الطبري، م1 ص 160.

بقوله: «هي الأفعال الواقعة على نهاية ما يمكن من التذلّل والخضوع لله المتجاوز لتذلّل بعض العباد لبعض»[1].

وهذه المعاني كلها تندرج في شهادة أن لا إله إلا الله، فمعنى قول المسلم «أشهد أن لا إله إلا الله» هو: أعلم وأقرّ وأعترف أن لا معبود بحقٍّ إلا الله.

واعلم: أن العبادة هي الغاية التي خلقنا الله من أجلها، وبعث أنبياءه ورسله يدعون الناس إليها، وهذه الحقيقة الراسخة يعلمها أهل الإيمان.

أما العوامّ من الناس فربما ظن أحدهم أننا خلقنا لنستمتع بالحياة وملذّاتها، لكن قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ. مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ. إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[2].

(الأسئلة)

1- ما هي معاني الإلهية؟

2- بيّن معنى كون الله سبحانه هو المحبوب لذاته وحده.

3- ما الفرق بين المحبة الشرعية والمحبة الطبيعية؟

---

[1] الحدود في الأصول، ص 123-124.

[2] **تنبيه**: المهم في هذا الباب هو المعاني لا التقسيمات الاصطلاحية التي قد يجادل البعض في ثبوتها؛ فإن الإنسان لو اعتقد بكل ما ذكرنا من المعاني فهو موحّد لله تعالى وإن لم يعرف التقسيمات.

(الدرس الرابع)

الكفر والشرك

الكفر: ما يوجب الخروج من الدين بإنكار ما عُلِمَ منه بالضرورة أو بفعل ما حكم الشارع عليه بأنه كفر.

فهو يوجب الخروج من الدين والخلود في الجحيم بخلاف المعصية فإنها لا تخرج من الدين.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

والكفر تارة يكون بإنكار وجحود ما علم مجيء الرسول ﷺ به بالضرورة، كإنكار الرسالة، أو نبوة نبي من الأنبياء الذين أجمعوا على نبوته، أو الجنة أو النار، أو جحد وجوب الصلاة، أو الصوم، أو حرمة الزنا، ونحوها من القطعيات.

وتارة يكون بفعل شيء حكم الشارع على صاحبه بالكفر لاستخفافه بالدين مما يذكره الفقهاء في كتاب الردة، كرمي المصحف الشريف في القاذورات وإن لم يصاحبه جحود وإنكار.

وعُلِمَ مما ذكرنا: أننا لا نكفر أحدًا بذنب دون الكفر ما لم يستحلّ ذلك الذنب، فلا نكفّر بالزنا ولا بشرب الخمر ولا بنحوهما من الكبائر. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾.

والشرك: صرف خصيصة من خصائص الله لغيره. وقد تقدمت تلك الخصائص.

كمن يثبت خالقًا غير الله لشيء من العالم. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾. أو يعبد غير الله سبحانه وتعالى بأن يصرف له شيئًا لا يصح بحال من الأحوال صرفه إلا لله كالصلاة والصوم والتوبة من الذنوب. أو يدعو غير الله سائلاً منه ما لا يقدر

عليه إلا الله كهداية القلوب[1] وغفران الذنوب. قال تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ. وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

ومن الشرك ما لا ينقل عن ملة الإسلام: ويسمى بـ«الشرك الأصغر» كالرياء وهو: إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمدوا صاحبها، كما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري»[2].

(أسئلة)

1- ما الفرق بين الكفر والشرك؟

2- اذكر بعض مظاهر الشرك؟

3- ما الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

[1] قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. قال الشيخ السعدي: «يخبر تعالى أنك يا محمد- وغيرك من باب أولى- لا تقدر على هداية أحد، ولو كان من أحب الناس إليك، فإن هذا أمر غير مقدور للخلق هداية التوفيق، وخلق الإيمان في القلب، وإنما ذلك بيد الله تعالى، يهدي من يشاء، وهو أعلم بمن يصلح للهداية فيهديه، ممن لا يصلح لها فيبقيه على ضلاله».

[2] ج11 ص 344.

(الدرس الخامس)

الإيمان بقَدَر الله وملائكته

القَدَر: سبق علم الله ومشيئته لكل ما هو كائن.

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

يؤمن المسلم بقدر الله خيره وشره فيعلم أن كل ما هو كائن في العالم من الحوادث والأمور إنما وقع على ما قدّره الله تعالى، حتى الورقة من الشجرة ما تسقط في وقت وفي مكان إلا وقد سبق علم الله تعالى بها. قال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾.

ولا يقع شيء في ملكه من خير وشر بدون مشيئته سبحانه وتعالى. قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

ثم مشيئته سبحانه لا تستلزم رضاه عن الفعل ومحبته له: فقتل الأنبياء والأولياء أبغض الأمور إلى الله ومع هذا هو واقع بمشيئته سبحانه، بمعنى إذنه في وقوع ذلك وأنه لو شاء عصمهم كما عصم إبراهيم عليه السلام من النار، ولكن شاء ذلك لحكمة بالغة يختبر بها عباده. ولا يعني هذا أنه قد أحب ذلك ورضيه. قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلاَ يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾.

فإذا وقعت على المسلم مصيبة علم أنها قد كتبت في كتاب قبل خلق السموات والأرض فلا مفر منها فتطيب نفسه. قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فالسعيد من سبقت له السعادة أي: من سبق علم الله بسعادته، والشقي من سبقت له الشقاوة أي: من سبق علم الله بشقاوته ومعصيته. يهدي الله من يشاء بفضله وإحسانه ويضل من يشاء

بعدله، بمعنى يحجب عمن يشاء توفيقه وفضله ويَكِلُهم إلى أنفسهم بعدل منه سبحانه وحكمة[1]. قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾.

وقد خلق الله سبحانه ملائكة كرامًا: لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ الملائِكَةُ مِنْ نُورٍ»[2].

وعددهم كثير للغاية لا يحصيهم إلا الله تعالى. قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾. ومنهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

وقد أوكل الله لهم أعمالًا يقومون بها، فمنهم حملة العرش. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

ومنهم خزنة الجنة وخزنة النار. قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ. قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

ومنهم الذين يكتبون أعمال العباد. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

---

[1] قال الإمام ابن القيم: «وإذا أخلى العبد قلبه من محبته والإنابة إليه وطلبِ مرضاته، وأخلى لسانه من ذكره والثناء عليه، وجوارحه من شكره وطاعته، فلم يُرِدْ من نفسه ذلك ونسي ربه، لم يُرِدِ الله سبحانه أن يعيذه من ذلك ونسيه كما نسيه، وقطع الإمداد الواصل إليه منه كما قطع العبد العبودية والشكر والتقوى التي تناله من عباده، قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلاَ دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾. فإذا أمسك العبد عما ينال ربه منه أمسك الرب عما ينال العبد من توفيقه، وقد صرّح سبحانه بهذا المعنى بعينه في قوله تعالى: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: نخلي بينهم وبين نفوسهم التي ليس لهم منها إلا الظلم والجهل. وقال تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾، قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾، فعدم إرادته تطهيرهم وتخليته بينهم وبين نفوسهم أوجب لهم من الشر ما أوجبه». مختصر الصواعق المرسلة، ص 212-213.

[2] رواه مسلم.

وبعضهم أفضل من بعض. قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

ومن أفضلهم: جبريل الذي ينزل على الأنبياء بوحي الله، وميكائيل الموكل بالأمطار، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وهو بوق عظيم ينفخ فيه إيذانًا بالقيامة.

وهم الثلاثة الذين كان النبي ﷺ يذكرهم في دعائه الذي يفتتح به صلاته إذا قام من الليل، فيقول: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ..»[1].

ومن الملائكة ملك الموت، وقيل إن اسمه عزرائيل. قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

(الأسئلة)

1- ما فائدة الإيمان بقضاء الله وقدره؟

2- كيف يضل الله الظالمين ثم يحاسبهم؟

3- اذكر بعض وظائف من تعرفهم من الملائكة؟

[1] رواه مسلم. قال الإمام ابن القيم في هذا الحديث: «فذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة لكمال اختصاصهم واصطفائهم وقربهم من الله، وكم من ملك غيرهم في السماوات فلم يسم إلا هؤلاء الثلاثة، فجبريل صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل صاحب الصور الذي إذا نفخ فيه أحيت نفخته بإذن الله الأموات وأخرجتهم من قبورهم». زاد المعاد، م1 ص 36.

(الباب الثاني في النّبوات)

قد بعث الله أنبياءه ورسله لهداية خلقه، أولهم آدم وآخرهم وأعمّهم دعوة محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

فخلق الله عباده ليعبدوه، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾، وبعث رسله ليدعوا خلقه إلى عبادته وحده، فقال: ﴿إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ﴾، وفرض على الناس الإيمان بهم وطاعتهم، فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ﴾.

والفرق بين النبي والرسول على المشهور: أن النبي رجل أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه ليعمل به في خاصته، والرسول رجل أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه للناس[1]. والرسالة منزلةٌ أعلى من النبوة، فكل رسول نبيٌّ وليس كل نبيّ رسولًا.

وأول الأنبياء هو: آدم عليه السلام، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه، أن النبي ﷺ سُئِلَ عن آدم أنبيٌّ هو؟ قال: «نَعَمْ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ».

وآخرهم هو: سيدنا محمد ﷺ. قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾.

وقد كان الأنبياء يبعثون إلى قومهم خاصة وبعث الله رسوله محمدًا ﷺ إلى الخلق جميعًا. قال تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

فمن لم يؤمن به فهو كافر مخلَّد في النار[2]. قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

---

[1] وقيل: إن الرسول من أرسل إلى قوم مخالفين ليبلغهم رسالة الله، والنبي من كان يعمل بشريعة من قبله ولم يرسل إلى أحد ليبلغه رسالة الله. وهو اختيار شيخ الاسلام. انظر النبوات. ص 255.

[2] يظن بعض العوامّ من الناس أن من ولد لأبوين مسلمين فعليه أن يكون مسلماً، وأما اليهودي فعليه أن يتبع اليهودية، والمسيحي عليه أن يتبع المسيحية، وأنهم ليسوا بكفار إذا لم يؤمنوا بالإسلام. وهذا ضلال مبين، فقد نسخ دين محمد ﷺ كل الأديان، فعلى كل من في الأرض أن يؤمن به وإلا فهو هالك لا محالة. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. وقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس

ومن زعم أن بعد المصطفى ﷺ نبيًّا يوحى إليه فهو كافر لا محالة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾.

وهذه المعاني كلها تندرج في شهادة أن محمدًا رسول الله، فمعنى قول المسلم «أشهد أنّ محمّدًا رسولُ الله» هو: أعلم وأقر وأعترف أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ﷺ رسول الله إلى الناس جميعًا.

فيجب تصديقه في كل ما أخبر، وطاعته في كل ما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا نعبد الله إلا بما شرع، أرواحنا له الفداء، صلى الله عليه وسلم.

قد أنزل الله سبحانه كتبًا على بعض الرسل فمنها: صحف إبراهيم، وزبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، والقرآن الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو آخرها.

وقد أيد الله الأنبياء بالمعجزات الدالة على صدقهم: قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾، وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ القِيَامَةِ»[1].

والمعجزة: أمرٌ خارقٌ للعادة متحدًّى به.

ومن تلك المعجزات ناقة صالح، وعصا موسى، وقرآن النبيّ محمد، عليه وعلى إخوانه من الأنبياء الصلاة والسلام.

وتقرير المعجزة بالقرآن هو: أن القرآن بلغ مِن عظيم نظمه وعجيب أسلوبه ومنتهى بلاغته وفصاحته واشتماله على المعاني العظيمة ما خرج عن مقدرة الخلق. فلما زعم الكفار –وهم أهل البلاغة والفصاحة– أن القرآن كلام بشر تحدّاهم الله أن يأتوا بمثله فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لاَّ يُؤْمِنُونَ. فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

محمد بيده: لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار». رواه مسلم.

وعلى هذا إجماع المسلمين.

[1] متفق عليه.

ثم تحدّاهم سبحانه بعشر سور فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أُنزِلِ بِعِلْمِ اللّهِ وَأَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

ثم تحدّاهم بسورة واحدة فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ. فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾.

فعجزوا جميعًا، وقد كان أهون عليهم إبطال الرسالة بمعارضتهم بمثل القرآن بدل القتال وسفك دمائهم ولكنهم علموا أنه لا قبل لهم به.

كما أن الله أيّد المصطفى ﷺ بمعجزات أخرى كثيرة كشق القمر. قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ. وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾. وكذلك نبوع المياه بين أصابعه الشريفة عليه الصلاة والسلام كما في حديث الصحيحين.

يجب في حق الأنبياء عليهم السلام: الصدق ويستحيل عليهم الكذب، ويجب عليهم التبليغ التام لأنهم مؤتمنون على وحيه ويستحيل في حقهم الخيانة وكتم شيء مما أمروا بتبليغه. قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى. وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى. عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾.

ويجب في حقهم أيضًا: العصمة من الذنوب كبيرها اتفاقا كالسرقة والزنا، وقيل: صغيرها أيضًا. قال تعالى عن نبيه يوسف عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾.

---

[1] قال الحافظ ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾ أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريًا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة، ولهذا قال: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾. قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾، قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العرق الذي القلب معلق فيه».

ويجوز في حقهم: العوارض البشرية كالنوم والمرض والجوع والتعب مما لا يؤثر على منزلتهم.
قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾.

(أسئلة)

1- لماذا بعث الله رسله؟

2- كيف تستدل على نبوة سيدنا محمد ﷺ؟

3- ماذا يجب في حق الأنبياء وماذا يستحيل عليهم وماذا يجوز في حقهم؟

(الباب الثالث في السمعيات)

اليوم الآخر حق لا ريب فيه، يبعث الله سبحانه فيه الخلائق بعد موتهم للحساب، وفيه يجازى المؤمن على إيمانه والكافر على كفره والمطيع على طاعته والعاصي على عصيانه، وفيه ينتصف للمظلوم ويقتص من الظالم. قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

وبعد أن يفصل الله بين الخلائق ويحكم بينهم يصير المؤمنون إلى جنات الخلد، والكافرون إلى عذاب السعير، ويدخل النار من أهل المعاصي من شاء الله ثم يخرجون منها إلى جنة الله ومغفرته.

فمن دخل الجنة فلا يخرج منها أبدًا ومن دخل النار من الكافرين فلا يخرج منها أبدًا خالدين فيها من غير فناء ولا موت. قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾.

كل ما جاء في القرآن والسنة الصحيحة من أخبار يوم القيامة فيجب الإيمان به: فمن ذلك الصراط الذي هو جسر يفصل بين الناس والجنة وتحته جهنم، فيجتازه المؤمنون ويسقط فيها المنافقون ومن شاء الله من أهل العصيان، لطف الله بنا.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ[1]، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم»[2].

[1] نبات كثير الشوك.

[2] رواه البخاري ومسلم.

ومن ذلك: الميزان، وهو ميزان عظيم ينصبه الله يوم القيامة توزن فيه صحف الأعمال. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.

ومن ذلك: حوض النبي ﷺ الذي ترد عليه أمته. قال النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ[1] كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَن شَرِبَ مِنْهَا فَلا يَظْمَأُ أَبَدًا»[2].

ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة بأبصارهم: كما دل على ذلك القرآن والسنة، فلا يعطون شيئًا من نعيم الجنة كالنظر لوجه ربنا الكريم. قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وقال ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ»[3]. وقال ﷺ: «إذا دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، قالَ: يقولُ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى :تُرِيدُونَ شيئًا أزِيدُكُمْ؟ فيقولونَ: ألَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ ألَمْ تُدْخِلْنا الجَنَّةَ، وتُنَجِّنا مِنَ النَّارِ؟ قالَ: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فَما أُعْطُوا شيئًا أحَبَّ إليهِم مِنَ النَّظَرِ إلى رَبِّهِمْ عزَّ وجلَّ»[4].

ونؤمن بالحياة البرزخية في القبر وأن الله يفتن العباد فيه: فيسألهم عن ربهم ودينهم ونبيهم، فالمؤمن يلهم الجواب فينعم في قبره إلى يوم البعث، والكافر يقول «لا أدري!» فيعذب في قبره إلى يوم البعث كل ذلك حق.

قال النبي ﷺ: «اسْتَعِيذُوا باللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ..» ثم قال: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ..»

قال: «فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ..»

---

[1] أي: أباريقه.

[2] رواه البخاري ومسلم.

[3] متفق عليه.

[4] رواه مسلم.

قال: «وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنْ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ..»

قال: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي! فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنْ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ»[1].

هذا ما أردنا بيانه مما لا بد للمسلم من معرفته.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

(أسئلة)

1- ما هو الميزان والصراط؟

2- ما معنى قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؟

3- ما هي فتنة القبر؟

[1] رواه أبو داود.

(متن الأساس في علم التوحيد)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أصول في علم التوحيد تشتمل على مقدمة وثلاثة أبواب.

مقدمة

التوحيد لغة: الإفراد.

وشرعًا: إفراد الله بما يختصّ به.

واصطلاحًا: مسائل يبحث فيها عن الله والأنبياء والمعاد وما يتصل بذلك من حيث وجوب اعتقاده في الإسلام.

وفائدته: معرفة العقائد الحقة للفوز بسعادة الدارين.

الباب الأول

يختصّ الباري بوجوب الوجود لذاته؛ فكل ما عداه ممكن مفتقر في وجوده إليه ودال عليه.

وبالوحدانية أي: لا ثاني له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله فليس كمثله شيء.

وبالقدم فكل ما عداه حادث. وبالبقاء فكل ما عداه فان.

وبالاستغناء عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه إليه.

وبالخلق أي: الإيجاد بعد العدم. وبالملك فكل ما عداه مملوك له.وبتدبير العالم.

وبالإلهية أي: استحقاق العبادة فكل ما عبد سواه فهو باطل. وبالحاكمية أي: انفراده بحق التشريع.

وبالجملة: بالكمال المطلق المستلزم لعبادته وحده.

فصل

يتصف ربنا سبحانه بصفات الكمال، ويتنزه عن صفات النقص.

فمما ثبت لمولانا: الحياة، والسمع، والبصر، والعلم، والإرادة، والقدرة، والكلام، والرحمة، والوجه، واليدان، وأنه فوق خلقه بائنًا منهم على عرشه استوى.

وبالجملة: نثبت لربنا كل ما أثبته لنفسه في كتابه وسنة نبيه ﷺ من غير تأويل ولا تمثيل ولا تكييف. وأسماؤه توقيفية.

ومما تنزه عنه مولانا: الشريك، والزوجة، والولد، والنوم، والموت، والأكل والشرب.

وفعله سبحانه دائر بين الفضل والرحمة والعدل والحكمة.

فصل

يختص المولى بالإلهية، ومن معاني إلهيته: أنه لا يحب أحد لذاته إلا هو.

ولا يتحاكم إلا لشرعه.

ولا يتاب إلا إليه وحده إذ لا يغفر الذنوب أحد سواه. ولا يتوكل على أحد سواه.

وبالجملة لا يعبد غيره، والعبادة فعل ما يشتمل على غاية الحب والذل والتعظيم له.

فصل

الكفر ما يوجب الخروج من الدين بإنكار ما علم منه بالضرورة أو بفعل ما حكم الشارع عليه أنه كفر، كإنكار الرسالة أو رمي المصحف في القاذورات.

والشرك: صرف خصيصة من خصائص الله لغيره، كإثبات خالقين للعالم أو عبادة غير الله سبحانه بصرف ما لا يصح صرفه لغيره بحال كالصلاة والصوم والتوبة وسؤال ما لا يقدر عليه إلا الله كهداية القلوب.

ومن الشرك ما هو أصغر لا يعد كفرا مخرجا عن الملة كالرياء.

خاتمة

القدر سبق علم الله ومشيئته لكل ما هو كائن؛ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فالسعيد من سبقت له السعادة، والشقي من سبقت له الشقاوة، يهدي الله من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله.

وقد خلق الله سبحانه ملائكة كرامًا لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يحصيهم عددا إلا الله تعالى، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت.

الباب الثاني

قد بعث الله أنبيائه ورسله لهداية خلقه أولهم آدم وآخرهم وأعمهم دعوة محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام. وأنزل معهم الكتب كصحف إبراهيم وزبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى وقرآن محمد ﷺ وأيدهم بالمعجزات.

ويجب في حق الأنبياء عليهم السلام الصدق والتبليغ التام والعصمة، ويستحيل في حقهم أضدادها، ويجوز في حقهم الأعراض البشرية كالنوم والمرض.

الباب الثالث

اليوم الآخر حقّ يبعث الله فيه الخلائق للحساب، فيصير المؤمنون للجنة والكافرون للنار خالدين فيها أبدًا.

وكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار ذلك اليوم فحق، كالصراط والميزان.

ونؤمن برؤيته سبحانه يوم القيامة بالأبصار للمؤمنين.

ونؤمن بفتنة القبر وعذابه ونعيمه.

والحمد لله رب العالمين.

الفهرس

